مقصد التزكية
في
السنة النبوية
دراسة موضوعية

إعداد الباحث

أحمد رزق درويش محمد

مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة

ملخص بحث

«مقصد التزكية في السنة النبوية، دراسة موضوعية»

إعداد الباحث

أحمد رزق درويش محمد

مدرس الحديث وعلومه بكلية

أصول الدين بالقاهرة

لقد كان جل اهتمام الشريعة الإسلامية ، بتطهير الإنسان، وتزكيته، وإصلاحه، وترقيته ، قال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: ١٦٤]

ويظهر أثر التزكية إذا ظهرت في المجتمع كله، فهي كفيلة بأن تكون من أعظم وسائل الدعوة إلى دين الله جل وعلا، فبها يظهر جمال خلق المسلم، وبها تحسن معاملته، مع الناس، ولا يمكن لحضارة راقية أن تقوم إلا بحسن الأخلاق، وطيب المعاملة، وأي أمة تشح فيها الأخلاق الراقية، والتزكية بجميع صورها، فهي أمة مهددة بالانقراض والزوال.

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على قيمة التزكية باعتبارها، قيمة معيارية عليا، ومقصدا عاما من مقاصد السنة النبوية المطهرة، والتزكية قبل أن تكون مقصدا من مقاصد السنة، فهي مصطلح، ومفهوم قرآني أساسي، اتخذ هذا المفهوم موقعاً مهماً ضمن منظومة المفاهيم التي وردت في القرآن والسنة .

ومما تناوله البحث : تعريف التزكية، وبيان العلاقة بينها وبين التوحيد

والعمران، وبيان بعض الدلالات المحددة التي يحملها لفظ التزكية في القرآن، والسنة النبوية ، وكيف كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– يتصرف بالتزكية، وذكر نماذج على ذلك، وكيف طبق العلماء التزكية في تصرفاتهم، ومؤلفاتهم .

وفي النهاية يمكن القول بأن المجتمع سيظل مهدداً بالأزمات الخانقة في شتى المجالات، حتى يستعيد الإنسان قيمة التزكية في هذه المجالات كلها، وسيتبين له عندها أن التزكية هي جماع الفضائل والأخلاق والشمائل التي يلزم أن يتحلى بها الإنسان .

The Aim of *Tazkiya* (Purification) in the Sunnah: a Thematic Study

Dr. Ahmad Rizk Darweesh Omar

Modern teacher and science at the Faculty of Religious Origins in Cairo

Abstract

The Islamic Law of *Shari'a*h is mainly concerned with purifying, reforming and elevating the human being. Allah says in the Qurʾān: "*Allah has confered a great favour on the believers when He sent to them a Messenger from among themselves, reciting to them the verses of Allah, sanctifying them, and instructing them in Scripture and Wisdom, while, before that, they had been in manifest error*'' [Qurʾān, ٣: ١٦٤].

The impact of purification is obvious as it affects the whole society. It is guaranteed to be one of the greatest ways of calling to Allah. The beauty of a Muslim's manners and how kindly he deals with people is shown through it. A noble civilization cannot be established in the absence of good manners and behaviours. Any nation that lacks high manners and purification, in their various manifestations, is a nation that is prone to extinction and demise.

This research highlights the importance of purification seen as a high standard value, and one of the general aims of the Holy Prophet's Sunnah (tradition). Prior to becoming one of the Sunnah's aims, purification has been a fundamental concept in the Qurʾān. This concept has occupied a significant place among a group of concepts mentioned in the Holy Qurʾān and the Sunnah.

Among the topics tackled by this research are a definition of purification, a determination of its relation with monotheism and the issue of human construction of the land. The paper also aims to clarify the specific connotations of the word purification in the Qurʾān and the Sunnah. In addition, it mentions how the Prophet (pbuh) represents it, providing examples. Moreover, it demonstrates the way in which the scholars applied purification in their behaviours and books.

It can be concluded that the society will continue to be threatened by major crises in all fields till the human beings regain the value of purification in all the walks of life. Only then, they will understand that purification indicates the association of virtues, manners and merits that every human must possess.

﴿مقدمة﴾

الحمد لله الذي هدى لطاعته وألهم، وعلم الإنسان مالم يكن يعلم، أسأله شكر ما من به وأنعم، وعقبى خير يكمل بها نعماه ويختم، وصلواته على محمد نبيه وعلى آله وسلم وبعد؛

فلقد منَّ اللهُ تعالى على الإنسانية بسيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- فأرسله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا؛ ليكون هداية لهم، وليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولتكون رسالته عامة، وخاتمة، ولقد أنزل الله تعالى على النبي – صلى الله عليه وسلم – وحيين عظيمين أولهما: الوحي المتلو وهو القرآن الكريم، والثاني: الوحي غير المتلو وهو السنة المطهرة التي هي بيان للقرآن، وبهذا البيان كانت علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة علاقة تلازم بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وبالقرآن والسنة قام بناء الإسلام وتأسس صرحه الشامخ.

وقد أوكل الله تعالى إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم- مهمة البيان، والتبيين والبلاغ والتفسير، فالسنة شارحة للقرآن الكريم، مُفَصِّلَةٌ لمُجْمَلِه، مُقَيِّدَةٌ لمُطْلَقِهِ، مُخَصِّصَةٌ لِعَامِّهِ، مُبَيِّنَةٌ لِمُبْهَمِهِ، مُظْهِرَةٌ لأسراره، كما قال الله تبارك وتعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل: ٤٤].

وكما أن السنة النبوية المباركة مُبَيِّنَة للقرآن، فهي أيضا مُظْهِرَةٌ لأسراره، مفصحةٌ عن مقاصده؛ فالمتدبر للقرآن يجد فيه مقاصد عامة، وقيما عليا، مثل : التوحيد ، والعدل، والمساواة، والتزكية، و اليسر ، والعمران ، والدعوة ....وهذه القيم، وتلك المقاصد التي أقرها القرآن الكريم في الجملة، هي نفسها التي أقرتها السنة النبوية المشرفة، وفصلتها ودعمتها. وفي ذلك يقول

الإمام الشاطبي رحمه الله: (القرآن الكريم أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلباً لها، والتعريف بمفاسدها دفعاً لها..... و إذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور، فالكتاب أتى بها أصولاً يرجع إليها، والسنة أتت بها تفريعاً على الكتاب وبياناً لما فيه منها) [1] .

ولقد جاءت شريعة الإسلام لتعطي للإنسان الخير، والنفع كله في الدنيا والآخرة ، فبعث الله عز وجل الرسل، وهيأ لهم خلفاء مهديين، يرشدون الناس إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، و لقد كان جل اهتمام الشريعة الإسلامية ، بتطهير الإنسان، وتزكيته، وإصلاحه، وترقيته ، قال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: ١٦٤]

فالتزكية مطلوبة من كل مسلم، ويظهر أثرها إذا ظهرت في المجتمع كله، وإذا وجدت التزكية في المجتمع ، فإنها كفيلة بأن تكون من أعظم وسائل الدعوة إلى دين الله جل وعلا، فبها يظهر جمال خلق المسلم، وبها تحسن معاملته مع الناس، فينجذب الناس إليه، ويميلون إلى دينه ، ولا يمكن لحضارة راقية أن تقوم، إلا بحسن الأخلاق، وطيب المعاملة، وأي أمة تشح فيها الأخلاق الراقية، والتزكية بجميع صورها، فهي أمة مهددة بالانقراض والزوال.

والتزكية قبل أن تكون مقصدا من مقاصد السنة، فهي مصطلح، ومفهوم قرآني أساسي، اتخذ هذا المفهوم موقعاً مهماً ضمن منظومة المفاهيم التي

---

(١) الموافقات (٤/٢٧) .

وردت في القرآن والسنة ؛ فالتزكية موضوعها الإنسان المستخلف، وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنساني، والإنسان مادة وروح، والتزكية تشمل المادة والروح، وأي موضوع عن قضايا الإصلاح لا معنى له إلا إذا انطبق على الإنسان، واستهدف ترقيته في مراتب التزكية، والتزكية هدف العمران ووسيلته ، المشار إليه في قوله تعالى {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[هود: ٦١]. فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسيه مقصورة على مستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشرى.[١] وفي هذا البحث أردت أن أتناول قيمة معيارية عليا، ومقصدا عاما من مقاصد السنة النبوية المطهرة ألا وهي(التزكية) كقيمة عظيمة نادت بها السنة النبوية، ومقصد من مقاصدها المباركة .

(١) منظومة القيم العليا – بتصرف (٨١).

خطة البحث

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث ، وخاتمة، وفهرس المحتويات، على النحو الآتي:

تمهيد: واشتمل على التعريف بالسنة ، وبيان منزلتها ، وحجيتها.

المبحث الأول: التعريف بالمقاصد ، وأقسامها في السنة النبوية.

المبحث الثاني: أهمية فهم نصوص السنة النبوية في ضوء المقاصد الشرعية.

المبحث الثالث : تعريف التزكية في اللغة ، والاصطلاح.

المبحث الرابع : العلاقة بين التزكية، وبين التوحيد والعمران.

المبحث الخامس: التزكية في القرآن الكريم .

المبحث السادس: التزكية في السنة النبوية.

المبحث السابع: تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالتزكية.

المبحث الثامن: التزكية وتطبيقها لدى علماء الأمة .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث وثمرته .

فهرس المحتويات

﴿تمهيد﴾

ويشتمل على:

التعريف بالسنة، وبيان منزلتها، وحجيتها.

تطلق السنة في اللغة: على الطريقة المتَّبعة، والسيرة المستمرَّة، سواء كانت حسنة أم سيئة[١]، وعلى هذا المعنى ورد ذكرها في القرآن والسُّنة، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن سنَّ في الإسلام سُنةً حسنة، فله أجرها وأجر مَن عمِل بها بعده مِن غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومَن سنَّ في الإسلام سُنةً سيِّئة، كان عليه وزرها ووِزْر مَن عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [٢].

فالسُّنة في اللغة هي الطريقة والعادة المتَّبعة، والطريقة المبتدَأة، حسنة كانت أو سيئة، ولكن علماء اللغة اتَّفقوا على أن كلمة (السُّنة) إذا أُطلقت انصرفت إلى الطريقة أو السيرة الحسنة فقط، ولا تستعمل في السيئة إلا مُقَيَّدة[٣].

---

(١) تاج العروس (٩/ ٢٤٣)، لسان العرب(٦/ ٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة،(٢/ ٧٠٤) رقم: ١٠١٧.

(٣) إرشاد الفحول؛ للشوكاني، صـ: ٣٢، المعجم الوسيط ١/ ٤٥٥.

تعريف السنة في الاصطلاح :

كلمة «السنة» ترادف «الحديث» عند كثير من المحدثين، فيكون معناهما (ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خُلُقية، أو خِلقية، كما أنها تشتمل أيضًا على سكتات النبي صلى الله عليه وسلم وحركاته في اليقظة والمنام[١].

وهناك فريق من العلماء، فرق بين المصطلحين ، فعرَّفوا «الحديث» بأنه : (ما يُنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم من الأقوال والأفعال، وغيرها)، بينما استعملوا لفظ «السنة» فيما كان عليه العمل المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه رضي الله عنهم في الصدر الأول.

وأطلقها بعض العلماء على المعرفة الكاملة والتطبيق التام لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فالسنة تشتمل على الطريقة التي سنَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ بها أسلوبًا لحياته المباركة؛ ليكون أسوة حسنة لأمته تقتدي بها في سائر شئون حياتها[٢].

وعرَّف بعض العلماء المعاصرين السنة النبوية بقوله: هي الحكمة المبينة . بأفعال، وأقوال، وأحوال، وتقريرات رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقيم القرآن، والموضحة لسائر نواحي «القدوة المنهاجية»، و«منهاج التأسي

---

(١) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: (صـ: ١٥)، ومنهج النقد في علوم الحديث: (صـ: ٢٨).

(١) مبادئ التعامل مع السنة النبوية د/ سيد عبد الماجد الغوري: (صـ: ١٥)، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

السليم»، فـ«السنة» هي بجملتها البيان، والتجسيد العملي في الواقع البشري المتحرك لآيات القرآن الكريم، وهي المهيمنة على سنن النبيين والمصدقة عليها، والسنة هي التي تجسد أمام الإنسان قيم القرآن الكريم وتعاليمه؛ لتؤكد أن تلك التعاليم عملية، وأنه في مقدور البشر تطبيقها والقيام بها، وهي التطبيق الكفيل بتزويد الإنسان «بفقه التنزيل»، و«فقه التدين»، لئلا تلتبس عليه السبل، وتختلط عليه الأفهام، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الحشر: ٧] وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[الأحزاب: ٢١]، وقال سبحانه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (*) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[آل عمران: ٣١، ٣٢].

فالسنة هي البيان العملي والتجسيد الواقعي لتعاليم، وتشريعات، وآداب، وأخلاق القرآن المجيد، والسنة إذا أُضيفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دَلَّت على أمور اتبع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن، وتكررت منه حتى بدت كأنها طريقته الدائمة المستمرة، ومن أحسن ما عُبِّرَ عنه في هذا قول عائشة رضي الله عنها: «كان خُلُقُهُ القرآن»، فقد صار القرآنُ الكريمُ خُلُقًا له – صلى الله عليه وسلم – وسلوكًا، وعبادة، وتصرفًا؛ ومن هنا تكون السنة ذات أصل قرآني، ومنهج وسلوك وتصرف نبوي»[(١)].

وأما «الحديث» فهو حديث عن السنة، وإخبار عنها، يهدف بيانها إلى مَنْ لم يشهدها، ولم يَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يمارسها، فالحديث إخبار

(١) يُنظر: إشكالية التعامل مع السنة. د طه العلواني: (صـ: ٣٥، وما بعدها).

بالسنة، أو إخبار عنها، وليست السنة ذاتها. ولأجل هذه التفرقة قَدَّمَ بعض الأصوليين الفعل النبوي المقترن بالقول؛ لأنه الأقرب لمفهوم السنة والمراد بها، ثم الفعل النبوي الغير مقترن بالقول، ثم بعد ذلك القول النبوي، ونزاعات أهل العلم كلها كانت في دائرة الإخبار بالسنة، والإخبار عنها؛ إذ لا يسع أي مؤمن بالله ورسوله أن يرفض سنة ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَنَّهَا؛ إما لوجود أصل في القرآن يشهد لها، أو لأنها نُقِلَت بشكل دقيق أمين سليم، فالنزاع إذن كله يكاد ينحصر في حقيقته في مجال الإخبار بالسنة ونقلها »[1].

منزلة السنة ، وبيان حجيتها:

لا شك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي استقى منه التشريع مادته وأحكامه، وقواعده وأركانه، ومسائله وبنيانه، التي تتصلح بها البشرية، ويستقيم بها معاشها ومعادها، فالكتاب هو أصل التشريع الأول، والدستور الجامع لخيري الدنيا والآخرة، والقانون المنظم لعلاقة الإنسان بالله، وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، ثم جاءت السنة المطهرة، والتي هي أيضًا وحي من الله تعالى غير متلو ، والتي هي بيان لمراد الله عز وجل، وتطبيق عملي ونموذجي لكتابه الخالد؛ لتكون المصدر الثاني للتشريع الإسلامي العظيم، ولقد كانت علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة علاقة تلازم بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وبالقرآن والسنة قام بناء الإسلام وتأسس صرحه العظيم. وقد أوكل الله تعالى إلى رسوله الأمين ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم مهمة البيان، والتبيين والبلاغ والتفسير، فالسنة إذن شارحة للقرآن الكريم،

(٢) يُنظر: المصدر السابق: (صـ: ١١٥- ١١٦).

مُفَصِّلَةٌ لمُجْمَلِه، مُقَيِّدَةٌ لمُطْلَقِهِ، مُخَصِّصَةٌ لِعَامِّهِ، مُبَيِّنَةٌ لِمُبْهَمِهِ، مُظْهِرَةٌ لأسراره، كما قال الله تبارك وتعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]، وقال سبحانه: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [النحل: ٦٤].

وقد ذهب الإمام الخطيب وجمهور المحدثين إلى التسوية بين حكم كتاب الله تعالى، وحكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب العمل ولزوم التكليف(١). فالسنة – على هذا الرأي – مثل القرآن في الحجية والاستدلال ووجوب العمل بها فهي، وحي من الله تعالى، أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[النجم: ٣، ٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ معه لا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ على أَرِيكَتِهِ يقول عَلَيْكُمْ بهذا الْقُرْآنِ فما وَجَدْتُمْ فيه من حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وما وَجَدْتُمْ فيه من حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ». وفي رواية: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ من حَدِيثِي فيقول: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عز وجل فما وَجَدْنَا فيه من حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وما وَجَدْنَا فيه من حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ أَلَّا وَإِنَّ ما حَرَّمَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِثْلُ ما حَرَّمَ الله»(٢).

---

(١) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي: (صـ: ٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السُّنَّةِ ، بَاب: في لُزُومِ السُّنَّةِ (٤٦٠٤/٢٠٠/٤)، والترمذي في سننه كتاب: العلم، بَاب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤/٣٨/٥)، وابن ماجه في سننه: بَاب: تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢/٦/١)، والدارمي في ==

وقد ذهب الإمام الشاطبي، وبعض الأصوليين، وتبعه على هذا الرأي الشيخ عبد العزيز الخولي، وغيرهم إلى تأخر رتبة السنة عن القرآن في الاعتبار[1].

وهذا هو المشهور في كتب أصول الفقه، أن السنة تالية للكتاب، وأن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، والسنة هي المصدر الثاني له، وليس هناك كبير مشكلة ولا يترتب على ذلك عظيم أثر؛ لأن الجهة منفكة، فليس خلاف عند أحد أن السنة تلي الكتاب في الرتبة والاعتبار، وأنها حجة يجب العمل بالمحكم الصحيح الثابت منها مثل الكتاب، فالتسوية في وجوب العمل ولزوم التكليف، والله تعالى أعلم بالصواب.

وهناك آيات القرآن الكريم صريحة دعت إلى التمسك بالسنة النبوية، وحَثَّت على الاعتصام بها، وبَيَّنَت أنها حجة يجب العمل بها، قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: ٣١]. وقال جل شأنه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧] ، وقال سبحانه: ، {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [الحشر: ٧] وقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٣]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على وجوب طاعة

==

سننه، بَاب: السنة قاضية على كتاب الله (٥٨٦/١٥٣/١)، وابن حبان في صحيحه، بَاب: الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلًا وأمرًا وزجرًا، ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها عن الله لا من تلقاء نفسه (١٢/١٨٩/١)، كلهم من حديث المقدام بن معد يكرب الكندي رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(1) الموافقات، للشاطبي: (٢٢٩/٣)، ومفتاح السنة، لعبد العزيز الخولي: (صـ: ٦، ١٠، ١١).

النبي صلى الله عليه وسلم.

بل وأكدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة على وجوب اتباع سنته، والتحذير من مخالفتها، ورتَّبَ على ذلك الهدى والرشاد فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[(١)] وقال–صلى الله عليه وسلم– «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(٢)].

كما أن السنة النبوية كانت موجودة في حياة النبي– صلى الله عليه وسلم– وكانت بمثابة القدوة العملية والتطبيق المجسد لتعاليم القرآن الكريم؛ كما قالت أُمَّنَا عائشةُ – رضى الله عنها – «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ»[(٣)].بل إن السنة النبوية هي بمثابة نموذج عملي للإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم، والذي لو تأسى به المرء في حياته فلن يضل سعيه ولن يخيب رجاؤه، وسيسعد في دنياه وآخرته.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ (٥/٤٤/٢٦٧٦)، من حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب: النِّكَاحِ، بَاب: التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ (٧/٢/٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب: النِّكَاحِ، بَاب: اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ... (٢/١٠٢٠/١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤١/١٤٨/٢٤٦٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وسنده صحيح. وينظر في هذه القضية: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي، ط المكتب الإسلامي: (صـ: ٥١)، الحديث والمحدثون: (صـ: ١٥).

المبحث الأول: التعريف بالمقاصد، وأقسامها في السنة النبوية.

المقاصد لغة: جمع مَقْصَد، من قصد الشيء، وقصد له، وقصد إليه قصدًا، من باب ضرب، بمعنى طلبه، وأتى إليه، واكتنزه، وأثبته.. والقصد: هو طلب الشيء، أو إثبات الشيء، أو الاكتناز في الشيء، أو العدل فيه [١].

معنى المقاصد في اصطلاح العلماء :

الناظر إلى تعاريف السابقين من العلماء يجد أنهم لم يذكروا تعريفاً حديا للمقاصد ، ولعل ذلك راجع إلى وضوح المعاني في أذهانهم ،فلم يتكلفوا ذكر الحدود ولا الإطالة فيها، وكانت جل تعاريفهم تتوجه نحو المفهوم العام للمقاصد والمتمثل في جلب المصالح ودرء المفاسد وحول هذا المعنى العام دار تعريف الإمام الغزالي[٢] والآمدي[٣] والشاطبي [٤].

فمن ذلك تعريف الغزالي للمقاصد :" بقوله :ومقصود الشرع من الخلق خمسة ،وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم ،ونسلهم ومالهم"[٥].

وقال الآمدي :" المقصود من شرع الحكم إما جلب مصلحة أو دفع مضرة

---

(١) ينظر : القاموس المحيط(٣٢٧/٢)، معجم مقاييس اللغة (٩٥/٥)، المصباح المنير(٦٩٢/٢)، مختار الصحاح (ص٥٣٦)، تهذيب الأسماء واللغات(٩٣/٢).

(٢) المستصفى (١/ ٢٨٧).

(٣) الاحكام (٣/ ٢٧١).

(٤) الموافقات (٢/ ٣٧).

(٥) المستصفى (١/ ٢٨٧).

أو مجموع الأمرين"[١].

وحاول المعاصرون أن يصوغوا تعريفا يكشف عن حقيقة المقصود بهذا المصطلح الخاص على نحو يكون أكثر تخصيصاً وتحديداً وانضباطا من المفهوم العام الذي أشار إليه السابقون وتعددت الاجتهادات في هذا المضمار وتنوعت العبارات والألفاظ[٢] وهي في مجملها لا تخرج عن كون المقاصد "هي الحكم والمعاني التي اتجهت إرادة المشرع إلى تحقيقها عن طريق أحكامه"[٣] ويعنى بالحكم و المعاني: المصالح التي التفت إليها الشارع في تشريعه للأحكام[٤].

ويمكن تعريف مقاصد الشريعة في اصطلاح العلماء بأنها الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان[٥].

---

(١) الاحكام (٣/ ٢٧١).

(٢) أنظر على سبيل المثال :تعريف الشيخ الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ط، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٩، (ص:٥١)، والأستاذ علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية . الدار البيضاء (ص:٣).

(٣) المقاصد عند الشاطبي، للكيلاني ط الأولى، المعهد العالمي، سلسلة الرسائل الجامعية، ٢٠٠٠، (ص:٤٧).

(٤) أثر المقاصد الجزئية والكلية في فهم النصوص الشرعية (دراسة تطبيقية من السنة النبوية) د. عبد الله إبراهيم زيد الكيلاني (٤-٥).

(٥) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية (ص١٣)، الأصول العامة لوحدة الدين الحق (ص٦١).

المقاصد في السُّنة النبوية ، وأقسامها:

مقاصد السنة النبوية هي جزء مُتمِّم، وشريك مُكمِّل لمقاصد الشريعة بشكل عامٍّ، وكلُّ مقصدٍ تمَّ استنباطُه وتقريرُه إنَّما مرجعه في الأساس إلى القرآن والسنة، فكلاهما أصلٌ في تقريرِ قواعد هذا العلم، وتحديدِ ملامِحِه وحدودِه وأهدافِه، ووضعِ ضوابطِه ومعاييرِه، وبيانِ آلياتِه، ووسائلِ تطبيقه.

والحديث عن "مقاصد السنة النبوية" لا يُقصد به الفصل بين "مقاصد السنة" وبين "مقاصد الشريعة" أو حتى التَّمييز بينهما، وإنما قَصَدْنا إلى إبراز هذا الجانبِ من السنة النبوية المشرفة؛ ليتَّضح للجميع شمولُها واتِّساعُها واستيعابُها لكلِّ أركان الشريعة، وعلى هذا، فإنَّ الحديث عن "مقاصد السنة" هو نفسه الحديث عن "مقاصد الشريعة" بشكل عام، إذ هما في النهاية تعبيرٌ عن أمرٍ واحد، .

و يطلق مصطلح "مقاصد السُّنة النبوية" على الأهداف "العامة" التي تسعى السُّنة إلى تحقيقها في حياة الناس، ويطلق أيضاً على الأهداف "الخاصة" التي شُرِعَ لتحقيق كلٍّ منها حُكم خاص.

وتنقسم المقاصد في السنة النبوية إلى قسمين:

- **مقاصد عامة**: تتحقق فيها مصالح الناس جميعاً في الدنيا والآخرة، من خلال جملة أحكام الشريعة الإسلامية. وهذه المقاصد العامة، مثل التوحيد، والتزكية، و الحِكمة، ،والاعتدال، والعمران، ومسايرة الفِطرة الإنسانية، والواقع المعاش، و الأمن والسلام، و العدل والمساواة والحرية، وصون الكرامة الإنسانية، واليسر والسماحة، ومنع الضرر والضرار... بالإضافة إلى حفظ الضروريات الخمس (الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال) ، وهذا ما

يسمِّيه العلماء: بالمقاصد العامة[١].

- **مقاصد خاصة**: وهي الأهداف التي تسعى السُّنة إلى تحقيقها في مجال خاصٍّ من مجالات الحياة، كالنظام الاقتصادي، أو الأسري، أو السياسي... المقصد من النظر إلى المخطوبة إدامة المودة بين الزوجين، واستقرار الحياة الزوجية المقبلة، وكذلك المقصد من الاستئذان حفظ أعراض الناس، والمقصد من الزواج إحصان الفرج،.. وهكذا، وذلك عن طريق الأحكام التفصيلية التي شُرِعت لكلِّ مجال على حدة.[٢]

وفوائد معرفة مقاصد السُّنة[٣]:

١- أنها تدل على كمال التشريع، وشموله في السنة النبوية؛ أمَّا كمالها؛ فلأنَّها بُنيت على مقاصد رفيعة في كلياتها وجزئياتها، ولا ريب أنَّ الحكم إذا كان عن مَقْصَدٍ وعِلَّةٍ وفائدةٍ فإنه كمال، خلافاً لما كان عَارِياً من ذلك.

ومن المعلوم أن الله تعالى لا يخلق شيئا عبثا ، فكل شيء بقدر ، له حكم بالغة ، خلق من أجلها ، والسنة النبوية هي في حقيقتها تعبيرٌ عن هذه الإرادة الرَّبانية والمشيئة الإلهية؛ إذ هي ممَّا أوحاه الله تعالى لنبيِّه، وتشريعاتُها ومقاصدُها كلُّها وِفْقَ إرادةِ اللهِ ومشيئتِه، ومن ثَمَّ جاءت مقاصدُها مُتَّسمةً بهذا الكمال الذي سببه الحكمة الربانية، ومصدره خالق البرية.

---

(١) الوسطية في السنة النبوية (ص١٧٥).

(٢) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (١٤٣)، الموافقات (١٦٨/٢) ، منظومة القيم العليا (١٣-١٤).

(٣) ينظر : الفصول المنقاة المجموعة في مقاصد الشريعة المرفوعة، صالح بن محمد الأسمري (ص٨، ٩).

وأمَّا شمولُها؛ فلأنها استوعبت كافَّةَ المقاصد العامة والخاصة، التي يدركها العقل، أو يطلبها الواقع، أو يفرضها الحال، وذلك في كافة الأزمنة، ومختلف الأمكنة، فليس هناك مقصد من المقاصد العامة أو الخاصة والذي به يتمُّ استقرار البشرية وتتحقَّق سعادتها إلاَّ تجد له ذِكراً في السُّنة أو دليلاً، ممَّا يؤكِّد شمول السنة واستيعابها لما يحقِّق مصالح الناس في كل زمانٍ ومكان.

٢- ومن فوائد معرفة مقاصد السُّنة : أنها تفيد معرفةً بمراتبِ المصالح والمفاسد، ودرجاتِ الأعمال في الشرع والواقع، وهذا مُهِمٌّ عند الموازنة وتزاحم الأحكام.

٣- ومن فوائد معرفة مقاصد السُّنة : أنها نافعةٌ في تَعْدية الأحكام؛ كقياس فرعٍ على أصلٍ عُرِفتْ عِلَّتُه، وفي ذلك يقول الغزَّالي – رحمه الله: (الحكم الثابت من جهة الشرع نوعان: أحدهما: نَصْب الأسباب عِلاً للأحكام؛ كجعل الزنا مُوجباً للحد، وجعل الجماع موجباً للكفارة، وجعل السرقة موجبة للقطع، إلى غير ذلك من الأسباب التي عُقِل من الشرع نصبها عللاً للأحكام.

والنوع الثاني: إثبات الأحكام ابتداءً من غير ربطٍ بالسبب. وكلٌّ واحدٍ من النوعين قابل للتعليل والتَّعْدية، مهما ظهرتْ العلة المتعدِّية)[1].

٣- ومن فوائد معرفة مقاصد السُّنة : أنها تزيد النَّفس طُمَأنينة بالسُّنة النبوية وأحكامها.

---

(١) شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (٦٠٣) بتحقيق : د. حمد الكبيسي.

المبحث الثاني: أهمية فهم نصوص السنة النبوية في ضوء المقاصد الشرعية.

إن الاهتداء بمقاصد الشريعة – عند محاولة فهم نصوص السنة النبوية، أو الاستدلال بها على الأحكام– من الأمور التي تربي الوعي المنهجي لفهم النص النبوي سواء كانت هذه المقاصد عامة، أو خاصة، وسواء كان منصوصًا عليها، أو مشارًا إليها، أو مستنبطة؛ فالشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد، ودرء المفاسد عنهم في العاجل والآجل، وقد اهتم العلماء ببيان المقاصد العامة للشريعة مثل الإمام الشاطبي الذي قال: «إِنَّ وَضْعَ الشَّرَائِعِ إِنَّمَا هُوَ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ مَعًا»(١)، ومنهم الإمام العز بن عبد السلام، والطاهر ابن عاشور، وغيرهما، ففهم النص النبوي لا يكون سليمًا إلا بفهمها وتفسيرها في ضوء المقاصد الكلية والجزئية ذات العلاقة بموضوع النص وأوجه دلالته، وأن فهم النص بعيدًا عن مقاصد الشارع يؤدي إلى خلل في الفهم والاستنباط(٢).

ومن الأمثلة التي توضح ذلك: حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ»(٣)، فقد تشدد

---

(١) الموافقات: (٩/٢).

(٢) يُنظَر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د يوسف حامد العالم، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١ (صـ: ١٠٦، ١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب: الزكاة، بَاب: فَرْضِ صَدَقَةِ الفِطْرِ ==

بعض الناس بالأخذ بظاهر الحديث، وأصروا على إخراج زكاة الفطر من الأطعمة، ورفضوا إخراجها بقيمتها نقدًا رفضًا مطلقًا، ويكررون على مسامع الناس كل عام في آخر رمضان أن من أخرج زكاة الفطر نقودًا فزكاته باطلة؛ لأنها خلاف السنة، وعليه أن يعيد إخراجها ثانية من الطعام حتى تُقْبَل، ويحتجون أيضًا بحديث أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ»[1]، فوقفوا عند ظاهر النص، ولم يلتفتوا إلى المقصد الشرعي من الحديث، وهو «إغناء المساكين يوم العيد، وإدخال الفرحة والسرور عليهم»، لحديث ابن عمر «أَغْنُوهُمْ عَنِ اَلطَّوَافِ فِي هَذَا اَلْيَوْمِ»[2]، فينبغي النظر إلى العلة والغاية والحكمة والمقصد من إيجابها؛ فزكاة الفطر عبادة مالية من أصلها معقولة المعنى، فيجب النظر إلى ما هو أنفع للفقير، وأيسر على المكلف، وإخراج القيمة نقدًا في عصرنا هو الأيسر على المُعطي، والأنفع للآخذ، فنص الحديث معلل بالإغناء، والإغناء

==

(٢/١٣٠/١٥٠٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب: الزكاة، بَاب: زَكَاةِ الْفِطْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ (٢/٦٧٧/٩٨٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب: الزكاة، بَاب: صَدَقَةُ الفِطْرِ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ (٢/١٣١/١٥٠٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب: الزكاة، بَاب: زَكَاةِ الْفِطْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ (٢/٦٧٨/٩٨٥) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما.

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال، بَاب: مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ إِخْرَاجِهَا قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ يَوْمَ الْعِيدِ (٣/١٢٥١/٢٣٩٧)، والدارقطني في سننه، كتاب: زكاة الفطر (٣/٨٩/٢١٣٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما، وسنده حسن لغيره.

يحصل بالقيمة؛ لأنها أقرب إلى دفع حاجة الفقير؛ إذ تُمَكّنه من شراء ما يلزمه من الأطعمة والملابس، مما هو بحاجة إليه، وفي هذا رعاية لمقصود النص النبوي، وتطبيق لروحه.

وكذا في مسألة زكاة الزروع والثمار حيث استدل جمهور العلماء بحديث: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»[١]، على أن الزكاة فيما يُقتات ويُدَخر من الحبوب كالقمح، والذُّرَة، والشعير ونحوها، وهذا رأي الجمهور، ولكن الذي يحقق مصلحة الفقير ما ذهب إليه الأحناف من وجوب إخراج الزكاة من كل ما تخرجه الأرض من قطن، وتفاح، ومانجو، وشاي وبُن، وقصب سكر، وغيرها ، اعتمادًا على قوله تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}[الأنعام: ١٤١]، وحديث: «فيما سقت السماء العشر»[٢].

فغاية الشريعة هي تحقيق مصلحة الإنسان وسعادته في الدارين، وأحكام الإسلام تهدف إلى جملة من الغايات والمقاصد، منها الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، التي تشكل الحفاظ على الدين والنفس والعقل والمال والعرض، وكل هذا يحقق مصالح الإنسان[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب: الزكاة، بَاب: لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ (١٤٨٤/١٢٦/٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب: الزكاة، (٩٧٩/٦٧٣/٢) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب: الزكاة، بَاب: العُشْرِ فِيمَا يُسْقَى مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ، وَبِالْمَاءِ الجَارِي (١٤٨٣/١٢٦/٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما.

(٣) معالم الوعي المنهجي لفهم نصوص السنة النبوية (ص٢٦).

المبحث الثالث : تعريف التزكية في اللغة ، والاصطلاح.

أصل التزكية عند أهل اللغة من زكا يزكو، وهو يدل على أربعة معان مختلفة.

المعنى الأول: هو النماء والزيادة، يقال زكا الزرع يزكو زكاء، أي نما، وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء[١]. وجاء في القاموس: زكي كرضي: نما وزاد كتزكى [٢].

المعنى الثاني: الطهارة: ومنه قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: ١٠٣]. والزكاة زكاة المال، وهو تطهيره، والفعل منه زكى يزكي تزكية إذا أدى عن ماله زكاته، وفي لسان العرب: "الزكاة ما أخرجته من مالك لتطهيره به[٣] .

والمعنى الثالث: هو الصلاح: يقال رجل زكي أي صالح، وقال تعالى: {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا } [الكهف: ٨١] أي عملا صالحا، وقال الفراء: زكاة أي صلاحا، قال أبو زيد النحوي في قوله عز وجل: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [النور: ٢١] فمعناه ما أصلح. [وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ] أي يصلح[٤]. وقد جمعت الزكاة هذه المدلولات الثلاثة؛

---

(١) لسان العرب (٣٥٨/١٤).
(٢) القاموس المحيط ٣٧٥/٤ .
(٣) لسان العرب (٣٥٨/١٤).
(٤) المصدر نفسه (٣٥٨/١٤).

جاء في اللسان: "وقيل لما يخرج من المال للمسلمين من حقوقهم زكاة لأنه تطهير للمال وتثمير له، و إصلاح، ونماء، كل ذلك قيل"[١].

والمعنى الرابع: هو المدح: يقال زكاه الله وزكى نفسه تزكية إذا مدحها، وزكى الرجل نفسه إذا وصفها و أثنى عليها، ولعل هذا المعنى يتناسب مع قوله تعالى: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } [النجم: ٣٢][٢].

والخلاصة أن أصل كلمة «التزكية » في اللغة يدور حول عدة معاني ، وهي : **الطهارة، والنماء** ، و**الزيادة** ، و**البركة**، و**المدح**، و**الصلاح**، وكل هذه المعاني جاء ذكرها في القرآن والسنة.[٣] ، وقد تستعمل التزكية في معرض الذم، كما ورد في قوله تعالى {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم: ٣٢]، أما باقي معانيها ، فيدور حول التزكية المطلوبة شرعا، وتتضمن جانب النماء، والزيادة، وجانب التطهير ، وجانب الإصلاح.

ومعنى التزكية اصطلاحا لا يخرج عن معناه اللغوي ، فهي تعني طهارة الإنسان من السوء والشرور ، وكل ما هو مستقبح ، والارتقاء به في الخير، والصلاح. ومعنى طهارة الإنسان من السوء :أي طهارة عمله، وقوله، وظاهره، وباطنه، نفسه، وقلبه، وجسده، واعتقاده، ونياته، وعباداته،

---

(١) المصدر نفسه (٣٥٨/١٤).

(٢) ينظر: لسان العرب (٣٥٨/١٤)، مختار الصحاح (١٣٦)، النهاية لابن الأثير (٣٠٧/٢-٣٠٨).

(٣) لسان العرب (٣٥٨/١٤)، مختار الصحاح (١٣٦)، النهاية لابن الأثير (٣٠٧/٢-٣٠٨).

ومعاملاته، وجميع أحواله، وتشمل الفرد والمجتمع [١].

ويمكن تعريف التزكية بأنها ضرب من ضروب التربية، يستهدف تنمية الغرائز والملكات والقدرات الصالحة في المتلقين لها، وتنقيتهم وتطهيرهم من خبائث الاعتقادات والأخلاق والعادات والأعمال والأقوال، حتى تكون الأمة قوية نافذة في أمورها متحررة من جميع الانحرافات التي تزيغ بها عن الطريق[٢].

وقد ذكر الله تعالى التزكية باعتبارها إحدى مهمات النبي صلى الله عليه وسلم في أربعة مواضع من كتابه الكريم – كما سيأتي بيانه في حديثنا عن التزكية في القرآن .

(١) النظر العقلي وأثره في تزكية النفس ، بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة ، عدد (٥٤) ص (٦٧-٦٨).

(٢) أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية لمحمد سليمان الأشقر(١/٢٨-٢٩).

المبحث الرابع : العلاقة بين التزكية وبين التوحيد والعمران.

لو تدبرنا نصوص القرآن، والسنة النبوية ، لوجدنا أن هناك ثلاث قيم عليا تعتبر مرجعيةً مقاصدية؛ لبيان غاية الحقِّ جل وعلا من الخلق، وهي (التوحيد، والتزكية، والعمران) وهذه القيم والمقاصد الثلاث تنبثق عنها سائر القيم الرئيسة والفرعية في دين الله جل وعلا. فيمكننا أن نشتق من هذه المنظومة التي تبدأ بتوحيد الخالق جل وعلا، وتعمير الكون، وتزكية الإنسان كل القيم الأخرى.

وهذه المقاصد مترابطة لا ينفك أي منها عن الآخرين وهي توضح أن أهم أهداف الإسلام تحقيق وإيجاد «إنسان التزكية» القادر على تحقيق التوحيد، وإقامة العمران. والتزكية لا تتحقق بدون التوحيد، ولا تبرز ولا تظهر، ولا يبدو أثر التوحيد بدون فعل عمراني ينبه إلى الأبعاد الفكرية والعقدية والنفسية والعقلية للإنسان الذي قام به، ولذلك حددت مهمة النبي عليه الصلاة والسلام بدعوة إبراهيم: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: ١٢٩] ، فمنهج التربية القرآني بدأ ببناء دعائم التعامل الإنساني مع الوجود الغيبي، والبيئة الكونية ومع بيئته الإنسانية الاجتماعية في إطار تلك المقاصد العليا حيث إن كتاب الله ـ تعالى ـ كتاب استخلاف هادف جاءت آياته كلها في نظام دقيق لابد أن ينتهي في حالة الوعي عليه والالتزام به إلى تحقيق هذه المقاصد العليا، وإعادة إنسان التزكية عقليا ونفسيا وجسميا[١].

(١) ينظر : التوحيد والتزكية والعمران (ص٨٩) ، منظومة القيم العليا (ص١٢).

المبحث الخامس: التزكية في القرآن الكريم .

المتدبر لآيات القرآن الكريم ليجد أن مشتقات (زَكَوَ) وهو الأصل الثلاثي من لفظ (التزكية) (٥٩) تسعاً وخمسين مرة، منها: زَكَى، وزكَّى، ويُزَكِّى، وأزْكى، وزكياً، وزكاة، وازَّكى الخ...، ومنها : (٣٢) اثنتان وثلاثون مرة بلفظ الزكاة، أي زكاة المال على وجه التحديد، بمعنى التطهير، والبركة والنمو، و(٤) أربع مرات بمعنى المدح والثناء، و(٤) أربع مرات بوصف التزكية ، واحداً من مقاصد الوحي الأربعة، وبقية الآيات تتحدث عن مجالات مختلفة من التزكية بمعاني: التطهير والترقية والتنمية والزيادة في الحسن والنفع.[١]

وهذه بعض الدلالات المحددة التي يحملها لفظ التزكية في القرآن.

لفظ (التزكية) جاء في القرآن الكريم على أربع حالات محمودة، وجاء في حالة واحدة مذمومة. أما عن الحالات التي تكون فيها (التزكية) محمودة، فهي على النحو التالي:

١ – الفلاح والخير لمن حقق التزكية لنفسه :

من الحالات التي تكون التزكية فيها محمودة حينما يزكي العبد نفسه ، بأن يطهرها من الأدران، والخبائث ما ظهر منها وما بطن، فيكون سره كعلانيته، وظاهره كباطنه، لا يؤذي أحدا بجوارحه، ولا يُكِنُّ له سوءا ، قال تعالى : {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) } [الشمس: ٩ – ١١] . وتتحقق تزكية الفرد بدخوله في دائرة الإيمان: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } [عبس: ٣، ٤]، وفي تجنب الدخول في

(١) منظومة القيم العليا (ص٨٢).

جهنم: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} [الليل: ١٧، ١٨] . بل وأخبرنا الله تعالى أن الذي يتزكى ، فإنما يجني ثمار التزكية، ويعود الخير على نفسه ذاتها قال تعالى: {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ} [فاطر: ١٨] . وحينما توصف النفس بالصلاح والخير تكون نفسا زكية : {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } [مريم: ١٩] وأطول قسم في القرآن يتعلق بتزكية النفس قال تعالى {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) } [الشمس: ١ – ١٠] ، وهكذا ارتبطت التزكية بالفلاح في آيات متعددة في القرآن الكريم، سواءً كان ذلك فلاح الفرد أو فلاح الجماعة، وقد ورد الفلاح نتيجة للتزكية بصورة مباشرة: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}[الشمس: ٩] ، {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: ١٤].

وتكتسب التزكية المطلوبة بالإيمان والعمل الصالح، وبها يتفضَّل الله على الإنسان بالرضا ويؤتيه الأجر والثواب، قال تعالى {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه: ٧٥، ٧٦] .

ويرد لفظ التزكية في القرآن الكريم بمعنى التطهير والترقية للمشاعر النفسية، وللعلاقات الاجتماعية. فعندما يحدث الطلاق بين الزوجين، فإنَّ النفوس ربما تكون مهيأة للبغضاء والشحناء وتقطع أواصر الحب والمودة، مما قد يدفع أهل الزوجة إلى عَضْلِها؛ أي منعها من العودة إلى زوجها، مع رغبة كل منهما في هذه العودة، فيخبرهم الله سبحانه أنَّ في هذه العودة خيراً لهم جميعاً، وأنّ هذه العودة أطهر لقلوبهم من الريبة والشك، ولدوام الود والمحبة.

فالمسألة إذن، مشاعر وخواطر نفسية تُزكّي القلوب وتحدد العلاقات والأنظمة القائمة في المجتمع وتعالج القضايا الاجتماعية ، قال تعالى {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٣١، ٢٣٢] . فأزكى لكم إذن تعني : أوفر للعِرض وأقرب للخير، فأزكى دال على النماء والوفر، وذلك أنهم كانوا يعضلوهن حَمِيَّة وحفاظاً على المروءة من لحاق ما فيه شائبة الحطيطة، فأعلمهم الله أنَّ عدم العضل أوفر للعرض، لأنَّ فيه سعياً إلى استبقاء الود بين العائلات التي تقاربت بالصهر والنسب، فإذا كان العضل إباية للضيم، فالإذن لهن بالمراجعة حلم وعفو، ورفاء للحال [١].

٢- الله تعالى هو الفاعل الحقيقي للتزكية :

أخبرنا الله تعالى في كتابه أنه الفاعل الحقيقي للتزكية، هو الذي يزكي من يشاء ، ويحرم من يشاء من التزكية، لئلا يغتر العبد بطاعته، قال تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: ٤٩] ، وقال تعالى : {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم: ١٣]، { قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: ١٩] فالإنسان

(١) التحرير والتنوير (٤٢٨/٢)، وينظر : منظومة القيم العليا (ص٨٦).

المؤمن وهو يوثق صلته بالله سبحانه، فإنَّه مهما وصل إليه من حالة الإيمان، وقام به من العمل الصالح، واتخذه من الأسباب المشروعة في سبيل الترقي في درجات التزكية، فإنه يعلم مع ذلك كله أنه لا يدرك ما يدركه إلا بفضل الله تعالى ، قال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣].

٣- التزكية مهمة من مهام الرسول – صلى الله عليه وسلم - :

جاءت التزكية في القرآن الكريم بوصفها واحدة من أربع مهام للرسول – صلى الله عليه وسلم – فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يزكّي أمَّته، ويتلو عليها الآيات، ويعلمها الكتاب، ويعلّمها الحكمة. وهي أربع مهمات اقترنت مع بعضها وتكررت أربع مرات في القرآن الكريم.

الآية الأولى : قوله تعالى {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)} [البقرة: ١٢٨، ١٢٩].

الآية الثانية: قوله تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٥١].

الآية الثالثة: قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

الآية الرابعة: قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الجمعة: ٢].

وفي الآيات ملحوظتان :

الملحوظة الأولى: أن التزكية قد وردت في دعاء إبراهيم – عليه السلام – في الموقع الرابع من المقاصد، لكن التزكية في الآيات الثلاث الأخرى قد وقعت في الترتيب الثاني بعد تلاوة الآيات.

والملحوظة الثانية: أن التزكية كانت في حق الأمة المسلمة التي كانت دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وفي الأمة التي يخاطبها الله سبحانه: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ} وفي أمة المؤمنين، وأمة الأميين.

فلم يكن مقصد التزكية إذن، ولا أيٌ من المقاصد الثلاثة الأخرى، يتعلق بالفرد، وتربية نفسه، وبناء شخصيته، وترقية وجدانه.

ولذلك فإن هذه الآيات الأربع ترسم منهاجاً في تربية الأمة يتكون من أربعة أركان، تتكامل فيما بينها، وتتضافر مكوناتها في بناء الأمة، وفي رسم صورتها وتحديد خصائصها.

الركن الأول : هو تلاوة الآيات: ويتضمن ذلك محو الأمية، والارتفاع إلى مستوى التكريم الإلهي بتلاوة آياته، والانتفاع بما فيها.

والركن الثاني هو التزكية: وتشمل خصائص الطهر، والبركة والتنمية.

والركن الثالث هو تعليم الكتاب: أي تعليم ما فيه من علم وهدى.

أما الركن الرابع فهو تعليم الحكمة: أي تعليم مادة الكتاب وثمرة تعليمه، هي الإصابة في القول والفعل والعمل، واكتساب ملكة البصر بالأمور، ووضعها

في نصابها، ووزنها بموازينها، وإدراك أسبابها وغايتها[1].

٤- إنفاق المال على الوجه الذي شرعه الله تعالى تزكية له:

فالمسلم الذي يؤتي الزكاة تعتبر تزكية لصاحب المال بتطهير نفسه من الشح، فالمال فتنة، والذي

ينفق من ماله زكاةً أو صدقةً، إنما ينفق على نفسه، ويتوقَّى بذلك ما يكون من نتائج الشح والبخل على النفس.

وإنفاق المال في وجوهه إسهام مباشر في بناء علاقات التكافل والتراحم في المجتمع، قال تعالى : {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم: ٣٩] .

وقال تعالى : {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٦، ١٧]. والزكاة وسيلة مضمونة للبركة والزيادة ، قال تعالى : {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢٦١] .

وللإمام الغزالي – رحمه الله– معنى لطيف في علاقة إيتاء الزكاة بعملية التطهير، فهو يحذِّر مُؤْتي الزكاة أن يَمُنَّ بزكاته على من يأخذُها أو ينتظرُ منه شكراً، لأنَّ حقيقة أنْ تَعرف » : الأمر في نظر الغزالي أنَّ آخذ الزكاة متفضِّل على معطيها، فهو يقول أنّه المحسِنُ إليك بقبول حقِّ الله منك، فإنَّ

(١) منظومة القيم العليا (ص٨٨).

من أسرار الزكاة تطهير القلب، وتزكيته عن رذيلة البخل وخبث الشح، لذلك كانت الزكاة مطهرة؛ إذ بها حصلت الطهارة، فكأنها غسالة نجاسة[1].

٥- الحالة التي جاءت فيها التزكية في معرض الذم ، هي تزكية الإنسان لنفسه بالثناء والمدح :

الإنسان حين يمدح نفسه، ويثني عليها، ودائما ما يتحدث عن نفسه، أو يمدح غيره، ويثني عليه في المدح حتى يصل إلى وصف الإنسان بما ليس فيه، ويكون المادح عندها كاذباً، وبعض النفوس يصيبها العُجْب بما ينالها من مدح، فيكون المدح سبباً في بعد النفس عن حقيقة التزكية، وفي الحالتين تدخل التزكية في مجال الذم والنهي، وهناك آيات وردت في ذم الإنسان حينما يمدح نفسه ، **منها :** قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا } [النساء: ٤٩، ٥٠].

و قوله تعالى : {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: ٣٢].

ومنها : ما جاء في سياق الحديث عن اليهود الذين كانوا يشتركون مع النصارى في صور متعددة من تزكية أنفسهم، بادعاءات باطلة وقد ذكر الله سبحانه ما قالوا في آيات عديدة منها : {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

(١) الأربعين في أصول الدين (ص٥٠).

[البقرة:١١١] .

ومنها: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [المائدة: ١٨]. وهؤلاء لا تنفعهم تزكيتهم لأنفسهم هذه شيئاً، فالعبرة هي بمن يزكيه الله، لا بمن يزكي نفسه.

أما الحالة الثانية التي تذم فيها التزكية، فهي حينما يمدح الإنسان غيره إلى درجة مبالغ فيها وبعض النفوس يصيبها العُجْب بما ينالها من مدح، وهذه الحالة قد حذرت منها السنة النبوية، سنذكرها – إن شاء الله تعالى – في حديثنا عن التزكية في السنة.

المبحث السادس: التزكية في السنة النبوية.

لو نظرنا في نصوص السنة النبوية المطهرة لوجدنا أن الألفاظ التي تتعلق بالتزكية وما اشتق من لفظ «زكى»، تقع في الدلالات نفسها التي وردت في القرآن الكريم. ودلالات التزكية في السنة، جاءت على النحو التالي:

١- النبي – صلى الله عليه وسلم – يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء أن يحقق له التزكية :

يعلمنا النبي – صلى الله عليه وسلم – في دعائه أ ن يرجو العبد من ربه أن يرزقه التزكية، فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ – رضي الله عنه – ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»(١).

قال الإمام النووي – رحمه الله – : معنى "زكها" طهرها "وخير" في "أنت خير من زكاها" ليست أفعل تفضيل بل المعنى لا مزكي لها إلا أنت كما قال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/٢٠٨٨/٢٧٢٢)، وأخرجه النسائي السنن الصغرى ، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز (٨/٢٦٠/ ٥٤٥٨)، وأخرجه في السنن الكبرى، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من دعوات لا يستجاب لها (٧/٢٠٤/٧٨١٥).

أنت وليها.[١]

٢- صلاة الجماعة سبب في تزكية العبد :

رغب النبي – صلى الله عليه وسلم – في صلاة الجماعة وبين لنا أنها أزكي أي أكثر بركة وثواباً عند الله تعالى من صلاة العبد بمفرده ، وكلما كان الجماعة أكبر كانت التزكية أكبر. فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، فَلَمَّا صَلَّى، قَالَ: «شَاهِدٌ فُلَانٌ؟» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالُوا: نَعَمْ، وَلَمْ يَحْضُرْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لَابْتَدَرْتُمُوهُ، إِنَّ صَلَاتَكَ مَعَ رَجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِكَ مَعَ رَجُلٍ، وَصَلَاتَكَ مَعَ رَجُلٍ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِكَ وَحْدَكَ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ» [٢].

وقوله – صلى الله عليه وسلم – (إِنَّ صَلَاتَكَ مَعَ رَجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِكَ مَعَ رَجُلٍ) أي أكثر ثوابا من صلاته وحده. قال الطيبي من الزكاة بمعنى النمو، أو أن الشخص آمن من رجس الشيطان وتسويله ، وعلى هذا التفسير فهي مأخوذة من الزكاة بمعنى الطهارة .[٣]

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤١/١٧) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٩١/٣٥/ ٢١٢٦٦)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة (١٥١/١/ ٥٥٤) ، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الإمامة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين (١٠٤/٢/ ٨٤٣) وهو حديث حسن .

(٣) عون المعبود (١٨٣/٢).

٣- أفعال تَحْرِمُ الإنسان من تزكية الله تعالى له، فتجلب له الشقاء والعذاب :

هناك أفعال تَحْرِمُ الإنسان من تزكية الله تعالى له، فتجلب له الشقاء والعذاب، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ [ص:١١١] مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ العَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ " ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: ٧٧][(١)].

في هذا الهدي النبوي يحذرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – من فعل مثل هذه الأمور، فالذين يفعلونها، يحرمون من التزكية، والطهر، فلا يكلمهم الله تعالى أي بلا واسطة استهانة بهم، وقيل معنى ذلك الإعراض عنهم والغضب عليهم ، ولا ينظر إليهم، نظرة رحمة ورضا، بل ينظر إليهم نظرة سخط وغضب، ونظر الله تعالى إلى عباده رحمته لهم وعطفه عليهم وإحسانه إليهم، وهذا النظر هو المنفي في هذا الحديث، فمعنى لا ينظر إليهم لا يرحمهم، من إطلاق السبب وإرادة المسبب، وإلَّا فالله سبحانه وتعالى يرى كل موجود ، ولا يزكيهم، أي لا يطهرهم من ذنوبهم لعظم جرمهم، وقيل لا يثني

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أثم من منع ابن السبيل من (٣/١١٠/ ٢٣٥٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف (١/١٠٣/ ١٠٨) .

عليهم ومن لا يثني عليه سبحانه يعذبه، ويشقيه، ويبعده [١].

٤- البلاء والأمراض قد تكون سببا للتزكية :

فعن مُعَاذ بْن جَبَلٍ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " سَتُهَاجِرُونَ إِلَى الشَّامِ فَيُفْتَحُ لَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ دَاءٌ كَالدُّمَّلِ أَوْ كَالحُزَّةِ[٢] يَأْخُذُ بِمَرَاقِّ[٣] الرَّجُلِ يَسْتَشْهِدُ اللهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيُزَكِّي بِهِ أَعْمَالَهُمْ " اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطِهِ هُوَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الْحَظَّ الْأَوْفَرَ مِنْهُ، فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَطُعِنَ فِي أُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا حُمْرَ النَّعَمِ.[٤]

وهذا الحديث من أعلام النبوة؛ فقد فتح الله على المسلمين الشام، ووقع بهم الطاعون الذي ذكرت أماراته في هذا الحديث في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سنة ثمان عشرة من الهجرة، والشاهد أن هذا الطاعون، وذلك البلاء، الذي وقع بهم، إنما كان سببا لتزكيتهم، وتطهيرهم، لدرجة أن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – لما سمع ذلك من النبي – صلى الله عليه وسلم – تمنى، ودعا أن يناله الحظ الأوفر من هذا البلاء ، هو وأهل بيته، فأصابهم الطاعون فلم يبق منهم أحد فطعن في أصبعه السبابة، فكان

---

(١) المنهاج للنووي (١١٦/٢)، الكوكب الوهاج (١٣٢/٣-١٣٣) بتصرف.

(٢) بضم الحاء المهملة وفتح الزاي المشددة القطعة من اللحم قال الجوهري حزه واحتزه قطعه

(٣) قوله: "بمراقِّ الرجل": المراقُّ: قال ابن الأثير في "النهاية" ٢٥٢/٢: ما سفل من البطن فما تحته من المواضع التي ترق جلودها، واحدها مَرَق.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٨/٣٦/ ٢٢٠٨٨) وهو حديث صحيح لغيره .

يقول: ما يسرني أن لي بها حمر النعم.

٥- إنفاق المال والتصدق به، تزكية للنفس، وتطهير لها:

في كتب السنة جاءت أحاديث كثيرة تحدثت عن إنفاق المال والتصدق به مثل زكاة المال، وزكاة الزروع والثمار، وزكاة الماشية، وغيرها؛ فهناك أحاديث كثيرة بوَّبها أصحاب كتب السنة تحت عناوين كثيرة مثل: أبواب: وجوب الزكاة، والبيعة على أداء الزكاة، وزكاة الغنم، وزكاة الورق، وزكاة البقر، والزكاة على الأقارب، ومن أحبَّ تعجيل الصدقة من يومها، وإثم مانع الزكاة، وزكاة الفطر، مثال ذلك ما ورد عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[(١)] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصِّيَامِ مِنَ اللَّغْوِ، وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ» [(٢)].

فالزكاة تطهر النفس وتكيها من اللغو والرفث.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٢١/١/ ٥٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٧٥/١/ ٥٦).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الزكاة (٥٦٨/١/ ١٤٨٨) . وقال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ . وتعقبه الذهبي في التلخيص، فقال : على شرط البخاري.

٦- التزكية المذمومة :

هناك صورة للتزكية المذمومة لم ترد في القرآن الكريم مباشرة، بل وردت في الحديث النبوي وهي تزكية الإنسان لغيره، وربما يشير إليها ، قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ}[النساء: ٤٩، ٥٠].وقوله تعالى: { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: ٣٢] ، فيشتمل النهي على تزكية الإنسان لنفسه، ولغيره ، وتكون أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الواردة في نهي المسلم عن تزكية غيره، إنما هي تفصيل لمجمل هاتين الآيتين .

والتزكية مذمومة حينما يمدح الإنسان غيره إلى درجة مبالغ فيها، وبعض النفوس يصيبها العُجْب بما ينالها من مدح، فيكون المدح سبباً في بعد النفس عن حقيقة التزكية، وهناك نصوص كثيرة حذرت من ذلك، منها:

ما ورد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا، عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا " إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ، كَذَا وَكَذَا "[(١)].

ومنها : ما ورد عن خَارِجَة بْن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ العَلاَءِ، امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اقْتُسِمَ المُهَاجِرُونَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلا كفاه (٢٦٦٢/١٧٦/٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (٢٢٩٦/٤/ ٣٠٠٠).

قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي» قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا [1].

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ ، فَقَالَ: «أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ»[2] .

وعَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ : قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ ، وَقَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ [3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤٣/٧٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" ، كتاب الشهادات ، باب ما يكره من الإطناب في المدح وليقل ما يعلم (٣ / ١٧٧) برقم: (٢٦٦٣) ، وأخرجه مسلم في "صحيحه" ، كتاب الزهد والرقائق ، باب النهي عَنْ المدح إذا كان فيه إفراط (٨ / ٢٢٨) برقم: (٣٠٠١) .

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" ،كتاب الزهد والرقائق ، باب النهي عَنْ المدح إذا كان فيه إفراط (٨ / ٢٢٨) برقم: (٣٠٠٢) وأخرجه أبو داود في "سننه" كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح (٤ / ٤٠١) برقم: (٤٨٠٤) وأخرجه الترمذي في "جامعه" أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ما جاء في كراهية المدحة ==

إن مدح الإنسان نفسه مستقبح، اللهم إلا إن كان للتعريف ، كقول الرجل أنا الشيخ فلان أو الأستاذ فلان، وإلا إذا كان المدح ببعض الفعال التي يراد الاقتداء بها كذكر المرء بعض أفعاله الحسنة ليقتدي به فيها .

وأما مدح الإنسان غيره والثناء عليه في غيبته فهو ممدوح وبخاصة إذا كان الممدوح أهلا لذلك ، أما مدح الخير في مواجهته فهو خطر على الممدوح حتى لو كان بما فيه ؛ فإنه كثيرا ما يؤدي إلى الإعجاب بالنفس، وغرورها وهو المقول عنه في حديثنا "قطعت عنق صاحبك" وإذا لم يكن بما فيه، فهو الكذب، والنفاق والتزلف ويزيد الطاغية طغيانا ويزيد الفاجر فجورا، ولما كانت خفايا الإنسان عن الناس أكثر مما يظهر لهم كان المدح بما يظهر لنا مدحا بغير علم وكثيرا لا يطابق الواقع، ومن هنا وجب على من يمدح أن يقول إن كان مادحا لا محالة أن يقول أحسبه كذا وكذا والله حسيبه وكافيه والعالم به ولا أزكي على الله أحدا[1].

ومع ذلك فإنَّ فقه الآيات الخاصة بالنهي عن تزكية النفس، والأحاديث التي تنهي عن تزكية الآخرين، يتحدد بأحاديث أخرى، ثبت فيها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل المدح، وأنَّه مدح بعض الصحابة. ولعلّ وجه الجمع بين الأمرين يكون حين يتأكد فيه صدق المادح ويُؤْمَنُ فيه من عدم فتنة الممدوح.

قال ابن بطال : حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم

==

والمداحين) (٤ / ٢٠٠) برقم: (٢٣٩٣) وأخرجه ابن ماجه في "سننه" ، أبواب الأدب ، باب المدح) (٤ / ٦٧٩) برقم: (٣٧٤٢) .

(١) فتح المنعم (٦١٢/١٠).

يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به ولذلك تأول العلماء في الحديث الآخر "احثوا في وجوه المداحين التراب" أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي فقد مدح صلى الله عليه وسلم في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابا. (١)

وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة بأن الجائزة يصحبها شرط أو تقريب والممنوعة بخلافها ويستثني من ذلك ما جاء عن معصوم فإنه لا يحتاج إلى قيد.

وقال الغزالي في الإحياء آفة المدح في المادح أنه قد يكذب وقد يرائي الممدوح بمدحه ولا سيما إن كان فاسقا أو ظالما، وآفته في الممدوح أنه لا يأمن أن يحدث فيه المدح كبرا أو إعجابا فإن سلم المدح من هذه الأمور لم يكن به بأس وربما كان مستحبا (٢). وقال بعض السلف إذا مدح الرجل في وجهه فليقل اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون.(٣)

وقال الإمام النووي – بعد ذكر أحاديث النهي عن المدح – : فهذهِ الأحاديث في النَهي ، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة .قال العلماءُ : وطريق الجَمْعِ بين الأحاديث أنْ يُقَالَ : إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيَقينٍ ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لاَ يَفْتَتِنُ ، وَلاَ يَغْتَرُّ بِذَلِكَ ، وَلاَ تَلْعَبُ بِهِ

(١) شرح ابن بطال (٢٥٣/٩) .
(٢) إحياء علوم الدين (١٥٩/٣-١٦٠).
(٣) فتح المنعم (٦١٤/١٠).

نَفْسُهُ ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلاَ مَكْرُوهٍ ، وإِنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذِهِ الأمورِ ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَديدَةً ، وَعَلَى هَذا التَفصِيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلكَ .

وَمِمَّا جَاءَ فِي الإِبَاحَةِ قَولُهُ – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكْرٍ – رضي الله عنه – : « أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» [١] أَيْ مِنَ الَّذِينَ يُدْعَونَ مِنْ جَمِيعِ أَبْوابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِهَا . وَفِي الحَدِيثِ الآخر : « لَسْتَ مِنْهُمْ» [٢] : أَيْ لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلاَءَ . وَقالَ – صلى الله عليه وسلم – لعُمَرَ – رضي الله عنه – :« مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً إلاَّ سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ»[٣] والأحاديثُ في الإباحة كثيرةٌ. [٤].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم ، باب الريان للصائمين (٣ / ٢٥) برقم: (١٨٩٧)، ومسلم في "صحيحه، كتاب الزكاة ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر (٣ / ٩١) برقم: (١٠٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه، كتاب الأدب ، باب من أثنى على أخيه بما يعلم (٨ / ١٨) برقم: (٦٠٦٢) .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده (٤ / ١٢٦) برقم: (٣٢٩٤) ومسلم في "صحيحه"، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٧ / ١١٤) برقم: (٢٣٩٧) .

(٤) رياض الصالحين (٢٨٦/٢).

المبحث السابع: تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالتزكية.

المراد بتصرف النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتزكية :

بينّا فيما سبق أن التزكية إحدى مهمات النبي – صلى الله عليه وسلم، فقد كان من أقواله وأفعاله وتقريراته ما هو تنفيذ لهذه المهمة؛ قال سليمان الأشقر: "هذا وإن الأقوال كانت هي الوسيلة الرئيسية للنبي صلى الله عليه وسلم في أداء هذه المهمات، ولكن مع ذلك كانت الأفعال النبوية تؤدي دورا بارزا في تنفيذ المهمات المطلوبة منه، خصوصا مهمة البيان، ومهمة التعليم والتزكية"(١).

فإذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه متصرفا بالتزكية، معنى ذلك أنه كان يعمد إلى تلك المؤهلات الإيجابية، والمواهب التي أودعها البارئ سبحانه في أصل خلقة النفوس، فيعمل على تنميتها وتكبيرها وصقلها، كما يعمل في نفس الوقت على استئصال وتنحية كل ما قد يعترض هذه الكمالات من شوائب وأرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل(٢).

وقد استعمل العلماء اطلاقات أخرى لإفادة معنى التزكية، من هذه الاطلاقات؛ مصطلح "التربية"، إذ يرى الفضيل الإدريسي أن مصطلح التربية يلتقي مع مصطلح التزكية، لكن التزكية أعم لأنها تعني التطهير، أما التربية فتعني التوجيه والإرشاد.(٣)

---

(١) أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية(١/٣٠).

(٢) التحرير و التنوير(٢/٤٩).

(٣) التربية النبوية رسالة في حكم تصرف النبي صلى الله عليه وسلم ووارثه بالتزكية ==

ومن الإطلاقات التي أطلقت على التزكية أيضا ما استعمله الإمام ابن عاشور في كتاب "مقاصد الشريعة" من قبيل: "الهدى والإرشاد وتكميل النفوس"،[١]وقال: فأنا أردت بالهدى والإرشاد هنا، خصوص الإرشاد إلى مكارم الأخلاق وآداب الصحبة"[٢]. وعبر الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين" عن التزكية "برياضة النفس وتهذيب الأخلاق"[٣]، وكثيرا ما استعمل لفظ "الطهارة" عند المتقدمين، وهو أقرب هذه الإطلاقات إلى مصطلح التزكية.[٤]

والغرض من ذكر هذه الإطلاقات ليس هو التمييز بينها أو ترجيح بعضها على بعض، وإنما للتنبيه على أن هذه المصطلحات فإنما يراد بها معنى واحد يتجه إلى تزكية النفس البشرية وتحليتها بالمكارم، وتخليتها من الرذائل. فإذا تبين هذا، وتبين معنى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم مزكيا من خلال الآيات التي تقدمت فإنه لابد من إبراز نماذج من هذه التزكية المحمدية لنفوس الصحابة رضوان الله عليهم.

==

للإدريسي ، (ص ١٧).

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص: ٢٧).

(٢) المصدر نفسه (ص: ٢٩).

(٣) إحياء علوم الدين(٥٣/٣).

(٤) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، ص: ٩٦.

نماذج من تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بالتزكية:

لقد جعل الحق سبحانه وتعالى التربية والتزكية من أعظم صفات سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، إذ تبين أنه كان يتعهد صحابته متتبعا لأحوالهم عن كتب، راعيا لهم بتهذيب نفوسهم وتقويمها، وزيادة ذلك الخير المودع فيها، ونقلهم من حال إلى حال أحسن منه، ومن وضع إلى وضع أرقى منه، ولما كان صلى الله عليه وسلم أعظم مزك وأجل مرب على الإطلاق، تخرج من مدرسته جيل لم ير التاريخ مثله ولا عرف الزمان نظيره.(١)

تصرف النبي – صلى الله عليه وسلم – بحسب ما يتناسب مع حال المخاطب :

لو تدبرنا نصوص السنة لوجدنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حينما يُوجّه إليه سؤال من سائل كان يجب عليه بما يتناسب مع ما ينفعه ، فيهديه إلى ما تتزكى به حاله، وتتحسن به أخلاقه.

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله– : "وهو النظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص، إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزن واحد...، فصاحب هذا التحقيق الخاص هو الذي رزق نورا يعرف به النفوس ومراميها، وتفاوت إدراكها، وقوة تحملها للتكاليف، وصبرها على حمل أعبائها أو ضعفها، ويعرف التفاتها إلى الحظوظ العاجلة أو عدم التفاتها، فهو يحمل على كل

(١) الترك النبوي و أثره في التشريع ، إبراهيم ألواح ص: ١٣٦ .

نفس من أحكام النصوص ما يليق بها"[1]، وهذا ورد في السنة النبوية كثيرا ، ومثاله :

ما ورد عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: " سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا . قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ". قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي . " [2]. وَسُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ قَالَ إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ الْجِهَادُ ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ "[3].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» [4].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[5] .

---

(١) الموافقات، ص: ٧٧٩-٧٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها (١ / ١١٢) برقم: (٥٢٧) ،وأخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تَعَالَى أفضل الْأعمال) (١ / ٦٢) برقم: (٨٥) .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (١/ ١١٦) برقم: (٥٥٧) .

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الإيمان ، باب أي الإسلام أفضل (١/ ١١) برقم: (١١)، ومسلم في "صحيحه، كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (٤٨/١) برقم: (٤٢) .

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإسلام (١ / ==

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[1] .

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي ، فَقَالَ : «أَنْتَ إِمَامُهُمْ ، وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ ، وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا »[2].

قال الشاطبي: «.. إلى أشياء من هذا النمط جميعها يدل على أن التفضيل ليس بمطلق، ويشعر إشعارا ظاهرا بأن القصد إنما هو بالنسبة إلى الوقت أو إلى حال السائل»،[3] فيكون حكمه صلى الله عليه وسلم جوابا شافيا لحال السائل، موافقا إرادته واستعداده للعمل. فهذه المواقف تبين كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل أصحابه كلاً حسب قابليته، وما يصلح به حاله، وهذا هو عين التزكية والتربية النبوية.

==

١٢) برقم: (١٢) ومسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (١ / ٤٧) برقم: (٣٩).

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (٦ / ٦) برقم: (١٨٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الصلاة ، باب أمر الْأئمة بتخفيف الصلاة فِي تمام (٢/ ٤٣) برقم: (٤٦٨) .

(٣) الموافقات في أصول الشريعة ص: ٧٨١.

النبي – صلى الله عليه وسلم – يثبت نفوس أصحابه على الحق ويطهرها من الوساوس والشك :

دائما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يثبت نفوس أصحابه على الحق، ويعالجها من وساوس الشيطان، ويقطع عليها شكوكها وهذا يعد من أكبر مظاهر تصرفه – صلى الله عليه وسلم – بالتزكية، ومن الأدلة على ذلك ما ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه حيث قال: قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي، ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا، فَقَالَ لِي: " يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". [1] ففي هذه الحالة التي رأى فيها النبي – صلى اله عليه وسلم – لم يدع الشك والوساوس والتكذيب يهدموا إيمان

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (١/٥٦١/ ٢٧٣).

قلب أبي رضي الله عنه، لعلمه بما يختلج القلوب، ويتسرب إلى النفوس من الوساوس والظنون، فاستطاع – صلى الله عليه وسلم – أن يطهره من ذلك كله بضربة من يده الشريفة رفعته من حال التكذيب إلى حال اليقين، قال الإمام النووي: قال القاضي عياض معنى قوله "سقط في نفسي" أنه اعترته حيرة ودهشة، قال وقوله "ولا إذ كنت في الجاهلية" معناه أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبا لم يعتقده، قال: وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بها، قال القاضي قال المازري معنى هذا أنه وقع في نفس أبي بن كعب نزعة من الشيطان غير مستقرة ثم زالت في الحال حين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده في صدره ففاض عرقا .. قال القاضي ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم "[1].

والأمثلة على هذا النوع كثيرة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث كان صلى الله عليه وسلم يضع يده الشريفة على المزكى، إما لإزالة وهم أو مرض علق به، أو تثبيتا على الحق وتنمية لخصلة من الخصال.

النبي – صلى الله عليه وسلم - ينمي الملكات الإيجابية ويزكي الخصال الجميلة في نفوس الصحابة:

حينما تعرضنا لتعريف التزكية في اللغة، قلنا إن من معانيها: الزيادة والنماء، والمدح والثناء، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – خير من فعل هذا مع صحابته الكرام، بل و كان على معرفة تامة بخصال أصحابه، وملكاتهم الإيجابية فنمى هذه الملكات، وشجع تلك الخصال الطيبة ، فكان

(١) المنهاج (١٠٢/٦) .

يثني عليهم خيرا إن وجد خصلة حسنة، وأن ينبههم على العلة والخطأ إن وجد ذلك في أفعالهم، ويرشدهم إلى الأكمل والأفضل.

قال العلامة ابن عاشور – رحمه الله – : «وأما حال طلب النفوس على الأكمل من الأحوال فذلك كثير من أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونواهيه الراجعة إلى تكميل نفوس أصحابه وحملهم على ما يليق بجلال مرتبتهم في الدين»(١).

وهذا النوع جاء في السنة كثيرا ، مثاله : ما ورد عن عَبْدَ اللهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْآنَ يَا عُمَرُ »(٢).

فنلاحظ في هذا الهدي النبوي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد ارتقى بعمر – رضي الله عنه من حالة إلى حالة أسمى، وأفضل من الحالة التي كان عليها، حيث نمى خصلة المحبة في قلبه.

ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفاري رضي الله عنه: فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا

(١) مقاصد الشريعة (ص ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٨ / ٥٩) برقم: (٦٢٦٤) .

أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ عَلَى رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[1] ، وفي موطن آخر عاتبه النبي – صلى الله عليه وسلم – لما رأى فيه خصلة من خصال الجاهلية،، ففيما روى البخاري عن أبي ذر قال: فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَنِلْتُ مِنْهَا ، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي:« أَسَابَبْتَ فُلَانًا ؟ قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: نَعَمْ ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ»[2] .

فمقصد النبي – صلى الله عليه وسلم – من هذه المواقف ومن أمثالها – وهي كثيرة– هو تطهير لقلوب أصحابه رضوان الله عليهم، وتنمية للخصال الكريمة التي أودعها الله فيهم، وهذا دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعهدهم بالتزكية والتربية والتوجيه في كل حين، فأدى النبي صلى الله عليه وسلم مهمة التزكية خير أداء.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه"، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب مناقب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (٦ / ١٣٤) برقم: (٣٨٠١) وابن ماجه في "سننه"، أبواب السنة ، فضل أبي ذر (١ / ١٠٨) برقم: (١٥٦)، وأحمد في مسنده (١١/٦٥٠/ ٧٠٧٨) . وهو حديث حسن لغيره.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (١ / ١٥) برقم: (٣٠) ، ومسلم في "صحيحه" كتاب الْأيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس) (٥ / ٩٢) برقم: (١٦٦١) .

المبحث الثامن: التزكية وتطبيقها لدى علماء الأمة .[1]

اهتم علماء الأمة اهتماما كبيرا بالتزكية ، لأنهم أدركوا قيمتها في توجيه المكلفين إلى ما فيه صلاح نفوسهم وكمال أخلاقهم، فالأخلاق في الإسلام هي الأصل في كل عمل، وحسنها هو الأصل في كل نفع ، قال الإمام الشاطبي: "والشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق"[2]، ولا شك أن تزكية النفوس هي الامتثال بهذه الأخلاق.

لو نظرنا في سير الفقهاء الأعلام، لوجدنا أن الطابع الأخلاقي كان يلابس كل أقوالهم وأفعالهم، وتلك حقيقة تؤكد حضور التزكية في سيرهم بشكل قوي، ولكن الذين يدرسون سيرهم لم يلتفوا إلى هذا الجانب بقدر التفاتهم إلى باقي الجوانب، اللهم إلا إشارات مثل : ذكر خوفهم وورعهم، وحرصهم على تخليص العلم من شائبة الرياء، اجتهادهم في ستر أحوالهم وإيثارهم الخمول على الظهور [3].فهذه الإشارات وغيرها هي من قبيل فقه التزكية عند هؤلاء الأئمة، والذي ينبغي – حسب ما نرى – أن ينزل منزلته باعتباره فقها مستقلا، والذي يؤكد هذا الطرح، أننا نجد من فتاويهم ما هو داخل ضمن هذا السياق، قال الإمام مالك: "سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم

---

(١) ينظر : تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالتزكية وأهميته في حياة الأمة. نشر موقع الإمام الجنيد للدراسات الصوفية المتخصصة، على شبكة المعلومات الدولية.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، (ص: ٢٦٣).

(٣) ينظر: "الأئمة الأربعة" دراسة مصطفى الشكعة: دار الكتاب اللبناني بيروت ط١٩٨٣ .

يفزعون إليه، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري"[١].

ومن ذلك أيضا ما ذكره الإمام القرافي في آخر قاعدة من فروقه حيث قال: "ويُروى أن بعض الأئمة استأذن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في أن يدعو لقومه بعد الصلوات بدعوات، فقال لا، إني أخشى أن تشمخ حتى تصل إلى الثريا، ويجري في هذا المجرى كل من نصب نفسه للدعاء لغيره وخشي على نفسه الكبر بسبب ذلك، فالأحسن له الترك حتى تحصل له السلامة"[٢].

فيستفاد من هذه المواقف على عمومها أن من فقه الأئمة –رحمهم الله– الحرص على توجيه قلوب تلاميذهم وتزكية نفوسهم لتتخلص من آفاق العجب والاستعلاء وحب الرئاسة، التي قد تهلك صاحبها.

ومن هذه الأخلاق أيضا: عدم التسرع في الفتوى، والحذر من الآفات التي يمكن أن تلابسها، بل والإعراض عنها في بعض الأحيان لدفع مفسدة قلبية أو خلقية، فقد سأل رجل مالكا عن مسألة فلم يجبه، فلما كان من الغد جاءه وقد حمل ثقله على بغلة يقودها، فقال: "مسألتي؟ فقال ما أدري ما هي؟ فقال الرجل: يا أبا عبد الله تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك، فقال مالك غير مستوحش: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن"،[٣] فهل يفهم من هذا إعراض مالك عن المسألة لمجرد التشهي، أو كتم العلم؟ إن ما أجاب به مالك يعد خلقا عظيما من إمام عظيم، وهو إلزام نفسه على

(١) ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ١٨٢/١.
(٢) الفروق ٢٣٣/٤.
(٣) ترتيب المدارك للقاضي عياض ١٨١/١.

الاعتراف بنقصانها دون أن يجد في ذلك حرجا أو استيحاشا، إذ لو كان في نفسه من حب الظهور، أو طلب الثناء من الناس شيء، لبادر إلى إجابة الرجل كي يظهر كمال علمه لمجرد قوله له: "يا أبا عبد الله تركت خلفي من يقول ليس على وجه الأرض أعلم منك". لكنه لم يفعل ذلك، بل أجابه إجابة مراقب لقلبه، تارك لحظوظ نفسه، غير مستوحش من سقوطه في أعين الناس. فسير هؤلاء الفضلاء غنية بمواقف تشعر متتبعها برسوخهم في فقه التزكية واشتغالهم بتحصيله وتلقينه لتلاميذهم، كما يلقنونهم أحكام الفقه المتعلقة بالجوارح.

ومن ناحية أخرى فإننا لو نظرنا إلى الساحة العلمية لوجدنا أنها تعج بكتب الوعظ والأخلاق، وكتب الزهد والرقائق، وكتب الفضائل والآداب والتصوف... وكلها مسميات تدور حول معاني التزكية ومكارم الأخلاق وكيفية اكتسابها وتقرير أصولهما من الكتاب و السنة النبوية .

وهذه الإسهامات منها ما هو تأليف مستقل؛ حيث ألف الإمام الطبري كتاب "آداب النفوس، وألف عبد الله بن المبارك (ت١٨١ هـ)"الزهد والرقائق"، كما ألف الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) كتاب "الزهد"، وللمحاسبي (ت٢٤٣هـ) "الرعاية لحقوق الله" و"المسائل في أعمال القلوب". ولأبي الحسن الماوردي(ت٤٥٠هـ) "أدب الدنيا والدين"، وللراغب الأصفهاني (ت٥٠٦هـ) كتاب "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، ثم جاء العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) فألف كتابا سماه: "شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال".

ومنها ما هو مودع في ثنايا المؤلفات؛ كصنيع الإمام البخاري إذ أودع في كتابه الصحيح كتاب الرقاق أو الرقائق، وهو الكتاب الخامس والخمسون من كتب الجامع الصحيح، وتبعه على ذلك الإمام النسائي في سننه الكبرى،

ووضع الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه كتاب الزهد والرقائق، وهو الواحد و الأربعون من كتاب صحيح مسلم، وأودع الإمام محمد بن عيسى الترمذي في كتابه الجامع كتابا أسماه: "الزهد"، وهو الكتاب الواحد والثلاثون من كتب الجامع، و كتاب "الزهد" لابن ماجه وهو الكتاب السابع والثلاثون من سننه، وكذلك صنيع الإمام الدارمي في سننه إذ وضع كتابا أسماه "الرقائق".

خاتمـــة، وتشتـمل على أهم نتائج البحث وثمرته:

من خلال صفحات البحث السابقة، وبعد هذه الجولة الطيبة في رحاب « التزكية» يمكن القول بأن :

١- التزكية مقصد من المقاصد العليا للسنة النبوية، و واحدة في منظومة القيم العليا، التي تختص بالإنسان، الذي اختاره الله سبحانه خليفة في الأرض، ليقيم فيها العمران.

٢- التزكية تكون للفرد لمشاعر نفسه، وخلجات قلبه، وسلوك جوارحه. والتزكية تكون للأمة أيضا.

٣- التزكية مهمة من مهام النبي – صلى الله عليه وسلم – التي من أجلها بعث، فقد بعثه الله تعالى للأمة يزكيها، يزكي علاقات الناس، وأنظمة الحياة. وقد أفلح من الناس من تزكَّى، حين يتفضل الله عليه بالتزكية، ومن حرم من تزكية الله له، فإن تزكيته لنفسه، وتزكية الناس له لا تنفعه فتيلاً، وقد تضره كثيراً.

٤- العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه السليم لا يتأتى إلا باستحضار أنواع التصرفات النبوية مع مراعاة مقاصدها، ومن هنا أخطأ من يغيب هذا التنوع محاولا قصر مهمة النبي صلى الله عليه وسلم على الرسالة وحدها.

٥- التصرف بالتزكية من أعظم التصرفات النبوية وأشرفها، لما يهدف إليه من تحقيق الأخلاق الكريمة، ونشر قيم المحبة والرحمة بين الناس، وهو أمر تحتاجه الأمة، خاصة في هذا الزمان الذي نعيشه، لذلك لزم الاعتناء بها.

٦- بيَّن الله سبحانه للعبد كيف يترقى في مراتب التزكية في سلوكه

وتصرفاته، وفي ماله وممتلكاته، وفي أنظمته وعلاقاته، وقرر أن فلاحه في الدنيا وفي الآخرة مرهون بما يكتسبه من التزكية.

٧- قيام العمران في الأرض على الوجه الذي أراده الله، لا يتحقق دون هذه التزكية في سائر مجالاتها. فجميع صور التقدم والتطوير العلمي والتقاني والعمراني، والتوسع في أبواب الإنتاج والاستهلاك لمنتجات الصناعة والتجارة والزراعة، والرقي في التنظيم الإداري لا قيمة لها إذا لم تنعكس على خصائص الإنسان تزكية وتطهيراً، لتحقيق مقاصد الخالق من بناء المجتمع البشري على التعارف والتآلف والتكامل، ومن استقرار القناعة والرضا والسكينة والطمأنية في قلوب البشر.

٨- سيبقى المجتمع البشري مهدداً بالأزمات الخانقة في المجال الاقتصادي، والمشكلات المستعصية في المجال الإنساني والاجتماعي، وأمراض القلق والإحباط والشقاء في المجال العقلي والنفسي، حتى يستعيد الإنسان قيمة التزكية في هذه المجالات كلها. وسيتبين له عندها أن التزكية هي جماع الفضائل والأخلاق والشمائل التي يلزم أن يتحلى بها الإنسان .

هذا، وفي الختامِ أقولُ ما كان في هذا البحث من صواب وتوفيق فمن الله رب العالمين، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، ومن الشيطان، وإني لَمعترفٌ بتقصيري وقلةِ حيلتي، واللهُ عزَّ وجلَّ ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم من ذَلِكَ بَرَآءٌ. وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العملَ خالصًا لوجهه الكريم، مستشفعًا به عنده للفوز برضوانه في جنات النعيم، وأن ينفع به صاحبه، وكاتبه، وقارئه، في الدنيا والآخرة، وأن لا يجعل علمنا علينا وبالًا، وسعينا ونصبنا فيه خيبة وخسرانًا وضلالًا، إنه لا يخيب من رجاه، ولا يُحْرَمُ مَن دعاه، إنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، وأرحم الراحمين، وهو وليُّ كل نعمة

وخير، وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير، فاللهُ من وراءِ القصدِ، وهو الهادي إلى سواءِ السبيلِ، وهو حسبُنَا ونِعْمَ الوَكِيلُ، وآخرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. وصلِّ اللهم وسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سيدِّنَا محمدٍّ، وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

فهرس بأهم المصادر والمراجع

١)	أثر المقاصد الجزئية والكلية في فهم النصوص الشرعية (دراسة تطبيقية من السنة النبوية) د. عبد الله إبراهيم زيد الكيلاني
٢)	الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٣)	إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت عدد الأجزاء: ٤
٤)	إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م عدد الأجزاء: ٢
٥)	أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية لمحمد سليمان الأشقر الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعه والنشر والتوزيع، بيرت - لبنان الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٦)	الأئمة الأربعة دراسة مصطفى الشكعة: دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١٩٨٣ .
٧)	تاج العروس من جواهر القاموس ، اسم المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الوفاة: ١٢٠٥ ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين
٨)	التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
٩)	الجامع الصحيح المختصر– المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي– الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت– الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧– تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق– عدد الأجزاء : ٦
١٠)	السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي، ط المكتب الإسلامي
١١)	سنن أبي داود– المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)– المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد–

	الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت– عدد الأجزاء: ٤
١٢)	سنن الترمذي– المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)– تحقيق وتعليق :أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)– الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر– الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م– عدد الأجزاء: ٥ أجزاء
١٣)	سنن الدارقطني– المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)– حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم– الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م– عدد الأجزاء: ٥
١٤)	السنن الصغير للبيهقي– المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)– المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي– دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان– الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م–عدد الأجزاء: ٤
١٥)	السنن الكبرى– المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)– المحقق: حسن عبد المنعم شلبي– الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت– الطبعة:

	الأولـى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م- عـدد الأجـزاء: (١٠ و ٢ فهارس)
١٦)	السنن الكبرى- المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)- المحقق: محمد عبد القادر عطا- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان- الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
١٧)	شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي بتحقيق : د. حمد الكبيسي. الناشر: مطبعة الإرشاد – بغداد الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م. عدد الأجزاء: ١
١٨)	القاموس المحيط- المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)- تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بإشراف: محمد نعيم-العرقسُوسي- الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان-الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م- عدد الأجزاء: ١
١٩)	الكفاية في معرفة أصول علم الرواية المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المتوفى: ٤٦٣ هـ المحقق: ماهر ياسين الفحل الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ عدد المجلدات:

٢٠)	لسان العرب ، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الوفاة: ٧١١ ، دار النشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى.
٢١)	مبادئ التعامل مع السنة النبوية د/ سيد عبد الماجد الغوري: دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.
٢٢)	المستصفى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١
٢٣)	مسند الإمام أحمد بن حنبل– المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ(المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون– إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي– الناشر: مؤسسة الرسالة– الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
٢٤)	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم– المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)– المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي– الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– عدد الأجزاء: ٥

٢٥)	معجم مقاييس اللغة ، اسم المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الوفاة: ٣٩٥هـ ، دار النشر : دار الفكر- الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .
٢٦)	مقاصد الشريعة الإسلامية المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م عدد الأجزاء: ٣
٢٧)	مقاصد الشريعة ومكارمها لعلال الفاسي، ، مكتبة الوحدة العربية . الدار البيضاء
٢٨)	المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د يوسف حامد العالم، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١
٢٩)	منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران تأليف فتحي حسن ملكاوي – ط المعهد العالمي للفكر.
٣٠)	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٣٩٢
٣١)	منهج النقد في علوم الحديث المؤلف: الدكتور نور الدين عتر الناشر: دار الفكر، دمشق – سورية الطبعة: الثالثة، ١٤٠١ هـ

	-١٩٨١ م عدد الأجزاء: ١
٣٢)	الموافقات في أصول الفقه المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت .
٣٣)	النظر العقلي وأثره في تزكية النفس ، بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة ، عدد (٥٤)
٣٤)	الوسيط في علوم ومصطلح الحديث المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الفكر العربي عدد الأجزاء: ١

فهرس المحتويات

م	العنوان
١-	مقدمة
٢-	خطة البحث
٣-	تمهيد
٤-	التعريف بالسنة، وبيان منزلتها، وحجيتها
٥-	المبحث الأول: التعريف بالمقاصد، وأقسامها في السنة النبوية.
٦-	المبحث الثاني: أهمية فهم نصوص السنة النبوية في ضوء المقاصد الشرعية
٧-	المبحث الثالث : تعريف التزكية في اللغة ، والاصطلاح.
٨-	المبحث الرابع : العلاقة بين التزكية وبين التوحيد والعمران
٩-	المبحث الخامس: التزكية في القرآن الكريم .
١٠-	المبحث السادس: التزكية في السنة النبوية.
١١-	المبحث السابع: تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالتزكية.
١٢-	نماذج من تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بالتزكية:

١٣-	المبحث الثامن: التزكية وتطبيقها لدى علماء الأمة
١٤-	خاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث وثمرته
١٥-	فهرس بأهم المصادر والمراجع
١٦-	فهرس المحتويات